الدرة في نظم السيرة من المولد إلى الهجرة

حَمدًا لِمَن عَلَى الرَّسُولِ المُجتَبَى ... صَلَّى وَسَلَّمَ سَلَامًا طَيِّبَا

وَبَعدُ هَذِي دُرَّةٌ بَهِيَّهْ ... فِي سِيرَةٍ عَظِيمَةٍ عَلِيَّهْ

جَعَلتُهَا فِي الفَترَةِ الَّتِي تُرَى ... مِن مَولِدِ النَّبِيِّ حَتَّى هَاجَرَا

وَاليُسرُ وَالتَّسهِيلُ وَالتَّقرِيبُ ... أَصلٌ بِهَذَا النَّظمِ يَا حَبِيبُ

فَيَا إِلَهِي مُنَّ بِالإِخلَاصِ ... حَتَّى أَكُونَ مِن أُولِي الخَلَاصِ

مُحَمَّدٌ هُوَ ابنُ عَبدِ اللَّـهِ ... يُنمَى إِلَى ذِي الخُلَّةِ الأَوَّاهِ

وَأُمُّ خَيرِ النَّاسِ تُسمَى آمِنَهْ ... نِسبَتُهُم إِلَى كِلَابٍ كَائِنَهْ

مَولِدُهُ الشَّرِيفُ مِن نِكَاحِ ... وَاللَّـهُ صَانَهُ مِنَ السِّفَاحِ

أَبُوهُ مَاتَ حِينَ كَانَ حَمْلَا ... مَولِدُهُ فِي الفِيلِ حَقًّا يُمْلَى

وَكَانَ فِي الإِثنَينِ ثَانِي عَشْرِ ... رَبِيعٍ الأَوَّلِ جِيمٍ شَهْرِ

أَرضَعَهُ غَيرُ أُمِّهِ السَّعدِيَّهْ ... حَلِيمَةٌ سَارَت بِهِ غَنِيَّهْ

وَأَرضَعَتهُ أُمُّ أَيمَنٍ كَمَا ... ثُوَيبَةٌ مَولَاةُ عَبدٍ أَظلَمَا

وَشُقَّ صَدرُهُ وَكَانَ ٱبنَ ٱربَعِ ... إِذ كَانَ يَرعَى عِندَ الأُمِّ المُرضِعِ

رَدَّتهُ عِندَ ذَا حَلِيمَةٌ إِلَى ... آمِنَةٍ أُمِّ النَّبِيِّ ذِي العُلَا

وَأُمُّهُ تُوُفِّيَت بِالأَبْوَا ... وَهُوَ ابنُ سِتٍّ ذَا لَدَيهِم يُرْوَى

وَبعدَهَا جَدُّ حَنُونٌ كَفَلَا ... وَنَجمُهُ بَعدَ ثَمَانٍ أَفَلَا[11]

وَبَعدَ مَوتِ الجَدِّ فَاذكُر عَمَّهُ ... كَفَلَهُ مِن بَعدِهِ وَضَمَّهُ

وَمَعَهُ سَافَرَ نَحوَ الشَّامِ ... بَعدَ اثنَتَي عَشْرَ مِنَ الأَعوَامِ

رَآهُ فِي الرِّحلَةِ ذِي بَحِيرَا ... وَكَانَ هَذَا رَاهِبًا بَصِيرَا[12]

إِذ قَد رَأَى عَلَامَةَ النُّبُوَّةِ ... وَحِينَ ذَا أَمَرَهُم بِالعَودَةِ[13]

خَوفًا عَلَى رَسُولِنَا الأَوَّابِ ... مِن أَن يَضُرَّهُ أُولُو الكِتَابِ

وَحِينَ كَانَ عُمْرُهُ أَربَعْ عَشَرْ[14] ... حَرْبَ الفِجَارِ أَحمَدُ الهَادِي حَضَرْ

وَحِينَ كَانَ عُمْرُهُ عِشْرِينَا ... وَخَمْسَةً أَيْضًا مِنَ السِّنِينَا

سَافَرَ لِلشَّامِ مُتَاجِرًا بِمَا ... لِ أُمِّنَا خَدِيجَةٍ فَأُكرِمَا[15]

وَبَعدَمَا عَادَ ٱصبَحَت خَدِيجَهْ[16] ... لِلمُصطَفَى المُختَارِ أُلَّ زِيجَهْ

بَعدَ ثَلَاثِينَ وَخَمسَةٍ بَنَتْ ... قُرَيشُ الكَعبَةَ ثُمَّ عَيَّنَتْ

نَبِيَّنَا الحَكَمَ حِينَ افتَرَقُوا ... فِي الحَجَرِ الأَسوَدِ ثُمَّ اتَّفَقُوا

عَلَى الَّذِي بِهِ رَسُولُنَا حَكَمْ ... إِذ وَضَعَ الحَجَرَ فِي ثَوبٍ وَثَمْ[17]

كُلُّ قَبِيلَةٍ تَحُوزُ طَرَفَا ... وَحَمَلُوهُ وَالنَّبِيُّ شَرُفَا

بِوَضعِهِ بِيَدِهِ الكَرِيمَهْ ... مَكَانَهُ بِحِكمَةٍ عَظِيمَهْ

وَحِينَ بَلَغَ ٱربَعِينَ أُرسِلَا ... لِلثَّقَلَينِ دَاعِيًا مُكَمِّلَا

أَوَّلُ وَحيِهِ رُؤَى الصَّلَاحِ ... تَقَعُ مِثلَ فَلَقِ الصَّبَاحِ[18]

وَكَانَ قَبلَ البَعثِ يَخلُو فِي حِرَا[19] ... بِذِكرِ رَبِّهِ عَلَا عَنِ الوَرَى

حَتَّى أَتَاهُ الوَحيُ وَهْوَ فِيهِ ... أَوَّلُهُ ((اقْرَأْ بَاسْمِ)) عَن نَبِيهِ[20]

وَبَعدَهَا خَمسٌ مِنَ الآيَاتِ ... وَانقَطَعَ الإِيحَاءُ فِي أَوقَاتِ

ثَلَاثَةَ ٱعوَامٍ وَبَعدَهَا نَزَلْ ... آيٌ مِنَ المُدَّثِرِ اعلَم يَا بَطَلْ

فَسُورَةُ الحَمدِ وَبَعدَ ذَلِكْ ... تَتَابَعَ الوَحيُ لِخَيرِ سَالِكْ[21]

أَوَّلُ مُسلِمٍ مِنَ النِّسوَانِ ... خَدِيجَةٌ رَفِيقَةُ الإِيمَانِ

مِنَ الشُّيُوخِ العَالِمُ ابنُ نَوفَلِ ... وَأَوَّلُ الصِّبيَانِ إِيمَانًا عَلِي

مِنَ الكُهُولِ[22] الصَّاحِبُ الصِّدِّيقُ ... وَأَوَّلُ العَبِيدِ فَالرَّقِيقُ

بِلَالٌ العَظِيمُ ذُو الإِجلَالِ ... ثُمَّتَ زَيدٌ أَوَّلُ المَوَالِي

بِدَعوَةِ الصِّدِّيقِ بَعضٌ آمَنَا ... عُثمَانُ ثُمَّتَ ابنُ عَوفٍ ذُو الغِنَا

سَعدٌ سَعِيدٌ صَاحِبَا الصَّلَاحِ ... كَذَا الأَمِينُ عَامِرُ الجَرَّاحِ

وَكَانَت الدَّعوَةُ أُلَّ الأَمرِ ... ثَلَاثَةَ ٱعوَامٍ بِدُونِ جَهرِ

حَتَّى أَتَى أَمرُ وَلِيِّ الشَّرعِ ... عَزَّ وَجَلَّ وَعَلَا بِالصَّدعِ

وَالأَقرِبَا أَنذَرَ فِي البِدَايَهْ ... لِأَمرِ رَبِّنَا لَهُ فِي الآيَهْ[23]

وَبَعدَ جَهرِهِ تَزَايَدَ الأَذَى ... عَلَى نَبِيِّنَا وَمَن بِهِ احتَذَى

فَهَاجَرَ الأَصحَابُ بَعدَمَا أُذِنْ ... إِلَى النَّجَاشِيِّ لِمَا عَنهُ أُذِنْ[24]

نَحوُ ثَمَانِينَ مِنَ الرِّجَالِ ... وَالبَعضُ مِنهُم صَحِبَ الأَهَالِي

وَبَالَغَ الكُفَّارُ فِي إِيذَاءِ ... خَيرِ الوَرَى بِأَبشَعِ الأَشيَاءِ

فَأَجمَعُوا أَن يَقتُلُوهُ قَتْلَا ... أَنَّى لَهُم أَن يُدرِكُوا ذَا الفِعْلَا؟!

فَرَبُّنَا حَمَاهُ إِذ بِعَمِّهِ أَحَاطَهُ حَيثُ التَقَى بِقَومِهِ

أَي بِبَنِي الهَاشِمِ وَالمُطَّلِبِ فَأَجمَعَ الكُلُّ سِوَى ذِي اللَّهَبِ[٢٥]

عَلَى حِمَايَةِ النَّبِيِّ الخَاتَمِ رَسُولِ رَبِّنَا لِكُلِّ العَالَمِ

حِينَ رَأَى الكُفَّارُ هَذَا قَاطَعَوا جَمِيعَ مَن عَلَى الحِمَايَةَ ٱجمَعُوا

وَحَاصَرُوهُمُو بِشِعْبٍ مُدَّةْ ثَلَاثَةَ ٱعوَامٍ كَذَاكَ عَدَّهْ

وَكَتَبُوا صَحِيفَةً فِي ذَلِكْ وَفَنِيَت إِلَّا اسمَ رَبِّي المَالِكْ

وَكَانَ خَيرُ مُرسَلٍ قَد أَخبَرَا بِذَاكَ قَبلَ أَن يُرَى وَيُبصَرَا[٢٦]

لَمَّا رَأَى هَذَا نَبِيُّنَا الوَفِي سَارَ بِدَعوَةٍ لِأَهلِ الطَّائِفِ

فَلَم يُجِيبُوهُ لِمَا أَرَادَا وَبِالأَذَى وَالكُفرِ مِنهُم عَادَا

وَبَعدَ عَشْرَةٍ وَعَامٍ وَاحِدِ إِسرَا وَمِعرَاجٌ بِخَيرِ أَحمَدِ

وَالصَّلَوَاتُ الخَمسُ إِنَّ شَرعَهَا فِي هَذِهِ الرِّحلَةِ حَقًّا فَارعَهَا

وَكَانَ فِي السَّنَةِ هَذِي يَخرُجُ لِكُلِّ سُوقٍ بِالرَّشَادِ يَلهَجُ

أَجَابَ بَعضُهُم وَبَعضٌ لَم يُجِبْ لِأَنَّ قَلبَهُ عَنِ الهُدَى حُجِبْ

وَسِتَّةٌ جَاؤُوا لِحَجٍّ ثُمَّا دُعُوا فَأَسلَمُوا لِرَبٍّ ثَمَّا

وَنَشَرُوا ذِكرَ الرَّسُولِ بَعدَمَا عَادُوا لِيَثرِبٍ فَذِكرُهُ سَمَا

وَكَانَ فِي الحَجِّ الَّذِي يَلِيهِ وَفدٌ بِضِعفِ الأُوَّلِ[٢٧] جَاءَ فِيهِ

فَأَسلَمُوا ثُمَّ دَعَوا أَقوَامَهُمْ مِن بَعدِ عَودِهِم مِنَ الحَجِّ لَهُمْ

ثُمَّتَ فِي الحَجِّ الَّذِي جَا بَعدُ أَقبَلَ لِلهَادِي البَشِيرِ وَفدُ

مِن يَثرِبٍ وَعَدُّهُم أَتَانِي سَبعُونَ وَاثنَانِ وَإِثنَتَانِ

فَبَايَعُوا رَسُولَنَا عَلَى الهُدَى وَالنَّصرِ ثُمَّ بَعدَ هَذَا شُدِّدَا

أَذَاهُمُو عَلَى الرَّسُولِ المُصطَفَى وَصَحبِهِ الكِرَامِ أَربَابِ الوَفَا

فَأَمَرَ المُختَارُ أُن يُهَاجِرُوا لِلإِخوَةِ الأَنصَارِ ثُمَّ هَاجَرُوا

وَعَزَمَت قُرَيشُ أَثنَا الهِجرَةِ أَن يَقتُلُوا النَّبِيَّ فِي ذِي الفَترَةِ

لَكِنَّ رَبَّنَا حَمَاهُ فَاتَّفَقْ نَبِيُّنَا مَعْ صَاحِبٍ لَهُ صَدَقْ[٢٨]

أَن يَخرُجَا مُهَاجِرَينِ ثُمَّتَا أَمضَوا ثَلَاثًا فِي حِرَاءٍ أُثبِتَا

وَكَانَتِ الكُفَّارُ عَنهُم يَبحَثُونْ لَكِنَّ رَبَّنَا لِعَبدِهِ يَصُونْ

وَجَعَلُوا جُعْلًا لِمَن يَأتِي بِهِمْ أَنَّى لَهُم وَهُم بِحِفظِ رَبِّهِمْ؟!

وَبَعدَ هَذَا خَرَجُوا مَعَ الدَّلِيلْ رَآهُمُو سُرَاقَةٌ فِي ذَا السَّبِيلْ

فَظَنَّ أَنَّهُ سَيَقتُلُ النَّبِي لَكِنَّهُ هَذَا الظَّنَ ظَنُّ الخَائِبِ

فِي الثَّانِ مِن رَبِيعٍ النَّبِي وَصَلْ إِلَى قُبَا وَاثنَينِ مَعْ عِشرِينَ حَلْ[٢٩]

بَنَى بِذِي المُدَّةِ مَسجِدَ الهُدَى مِن بَعدِ ذَلِكُم يَجِيءُ قَاصِدَا

طَيبَةَ وَالجُمْعَةَ صَلَّى فِي الطَّرِيقْ صَلَّى عَلَيهِ اللَّهُ رَبُّنَا الرَّفِيقْ

وَاستَقبَلَ الأَنصَارُ أَحمَدَ الأَمِينْ وَأَكرَمُوا مَن جَاءَهُم مُهَاجِرِينْ

وَحَلَّ عِندَ خَالِدِ الأَنصَارِي وَبَينَهُم آخَى بِفَضلِ البَارِي

حِينَ استَقَرَّ طَلَبَ الَّذِي بَقِي مِن أَهلِهِ فِي مَكَّةٍ أَن يَتَّقِي

بِأَن يُهَاجِرُوا لَهُ فَفَعَلُوا مُستَضعَفُوهُم عُذِّبُوا وَقُتِلُوا

فَكَانَ خَيرُ الخَلقَ يَدعُوا المَولَى لَهُم وَذَا هُوَ القُنُوتُ يُجلَى

تَمَّ بِحَمدِ اللهِ نَظمُ الدُّرَّهْ مِن حِينِ أَن وُلِدَ حَتَّى الهِجرَهْ

(الهوامش)

[1] أي: إبراهيم عليه السلام.

[2] أي: أن نسب والدي النبي صلى الله عليه وسلم يلتقي في جده كلاب.

[3] أي: عام الفيل.

[4] أي: ثالث شهر؛ لأن الجيم في حساب الجُمَّلِ يساوي (٣)، وربيع الأول يأتي بعد محرم وصفر.

[5] أي: أن الله بارك لها في كل ما تملك حين أخذت النبي صلى الله عليه وسلم؛ لترضعه.

[6] هو أبو لهب، وأظلم: صيغة مبالغة من الظلم.

[7] أي: حليمة السعدية.

[8] أي: بعد حادثة شق الصدر.

[9] الأبواء: منطقة بين مكة والمدينة.

[10] أي: لدى أهل السير.

[11] كناية عن موته.

[12] أي: رآه في هذه الرحلة الراهب البصير (بَحِيرَا).

[13] أي: وأمر عمه أبا طالب بالعودة به؛ خوفا عليه.

[14] وقيل: بل حين كان عمره خمس عشرة سنة، فالمسألة فيها خلاف.

[15] أي: فأكرمه الله في تلك التجارة وربح.

[16] أي: أول زوجة، والأُلُّ: لغة في الأَوَّلِ.

[17] أي: وهناك.

[18] أي: أن أول ما بدئ به من الوحي: الرؤيا الصالحة، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح.

[19] أي: غار حراء.

[20] أي: خذ هذه المعلومة عن نبيه فطن.

[21] أي: النبي صلى الله عليه وسلم.

[22] جمع كهل، وهو: من جاوز سن الشباب ولم يصل سن الشيخوخة.

[23] والمقصود قوله تعالى: (وأنذر عشيرتك الأقربين).

[24] أي: سُمِعَ، والمقصود أنهم هاجروا إلى بلاد النجاشي –الحبشة-؛ لما عُلِمَ عنه من العدل.

[25] أي: أبي لهب.

[26] أي: أن النبي صلى الله عليه وسلم قد أخبرهم بأن الصحيفة قد فنيت وأن الأرضة قد أكلتها سوى اسم (الله) عز وجل، وكان إخباره صلى الله عليه وسلم بذلك قبل أن يعرفه أحد.

[27] الأُلُّ: لغة في "الأول"، أي: اثنا عشر رجلا.

[28] أي: الصديق.

[29] أي: أنه أقام في قباء اثنتين وعشرين ليلة.